أصول الإيمان

..... ومعلوم أن الإسلام يقتضي منهم أن يعملوا بشرائعه، وسيأتي ذكر بعض شرائعه، وأن الإيمان الذي فرضه عليهم يقتضي منهم أن يعتقدوا عقيدة ويعملوا عملا؛ فأما العقيدة فهي ما يعقد عليه قلب أحدهم من أركان الإيمان، وأما العمل فهو ثمرة ونتيجة تلك العقيدة؛ فلأجل ذلك سمعنا أن شيخ الإسلام رحمه الله ذكر أصول الإيمان أو أركان الإيمان مختصرة، وذكر تعليقا عليها أورده في هذه المقدمة، وذكر أنواعا من حق الله تعالى؛ فذكر: أولا: من أركان الإيمان: الإيمان بالله، والإيمان بالكتب، والإيمان بالرسل، والإيمان باليوم الآخر، وهذه هي أهم أركان الإيمان العملية؛ فإن الإيمان بالله يستلزم: أولا: معرفته بأسمائه وبصفاته. وثانيا: معرفة حقوقه على العباد. هذا الذي يستلزمه، ولا شك أن معرفته تكون بآياته وبما نصبه من العلامات؛ فإذا قيل لك: بمَ عرفت ربك؟ فقل: بآياته ومخلوقاته: قالوا بم عرف المكلف ربه فأجبت بالنظم الصحيح المرشد وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد فنصب الآيات؛ ليتعرف إلى عباده. فإذا تأملوا في هذه الآيات وفي هذه المخلوقات عرفوا أن ربهم الذي خلقهم أهل للتعظيم وأهل لصفات الكمال، وأنه الذي بيده الملك وله الحمد..... وإذا عرفوا ذلك أيضا عرفوا بعد ذلك حقوقه عليهم. من فوائد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله. يقول لتلاميذه: اعرفوا الله بأفعاله ووحدوه بأفعالكم؛ اعرفوا الله بأفعاله، يعني: بما نصبه أن خلقكم، وأن خلق لكم من أنفسكم أزواجا، وأن أوجد لكم بنين وحفدة، وأن خلق لكم الأرض وما عليها، وأن نصب الأدلة على وحدانيته لتنظروا فيما فوقكم وفيما بين أيديكم. اعرفوا الله بأفعاله. ثم بعد ذلك وحدوه بأفعالكم؛ أي: دعاؤكم وخوفكم ورجاؤكم ومحبتكم ورغبتكم واستعاذتكم واستعانتكم؛ وحدوه بها. كذلك الآيات التي سمعنا دليل على حق الله تعالى على عباده؛ فإن قوله تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا } في هذه الآية أن الرسل دعوا إلى هذه الكلمة: { لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا } أي: قلنا لهم ادعوا قومكم { أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } . وكذلك قوله: { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } فإنها صريحة في أن كل الرسل قالوا لقومهم: اعبدوا الله وخصوه بالعبادة، واتركوا عبادة الطواغيت؛ دعوة الرسل كلهم إلى هذا. وكذلك ما أخبر الله تعالى عن الرسل أن كل واحد منهم قال لقومه: { اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } لا شك أن هذا كله دليل على أن حق الله على عباده هو أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا. هذا هو الذي أخبر النبي عليه السلام بأنه حق الله على عباده. وكذلك الإيمان بالكتب وبالرسل وباليوم الآخر؛ كلها مما يلزمنا أن نؤمن بها، والآيات التي سمعنا واضحة الدلالة في وجوب الإيمان بها، فإن قوله: { آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ } ذكر الله أربعة أركان: آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله؛ هذه أربعة من أركان الإيمان، بقي الإيمان بالملائكة والإيمان بالقدر، وهي من المكملات، المعنى أنهم اتفقوا في هذا كله، فإذا آمنوا بالله تعالى عظموه، وإذا آمنوا بالرسل اتبعوهم، وإذا آمنوا بالكتب عملوا بها، وإذا آمنوا باليوم الآخر استعدوا له؛ عملوا العمل الصالح الذي يكونون فيه سعداء. وكذلك أخبر بأن الرسل طريقتهم أنهم بينوا للناس ما نزل إليهم؛ ففي قوله تعالى: { شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ } يعني: الدين الذي شرعه والذي أوصى به الأنبياء: { مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى } هذا هو الدين الذي فرضه الله تعالى. وكذلك قوله تعالى: { فَلِذَلِكَ فَادْعُ } لما ذكر التوحيد: { فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ } { آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ } ؛ أمر بهذا صلى الله عليه وسلم، ولكنه أمر لجميع الأمة كل واحد منا مقول له: { وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ } وإذا آمنت بما أنزل الله من كتاب؛ فإنك تصدق بأنها من الله تعالى وأنها كلامه، وتعمل بها وتتبعها. وهكذا أيضا الآيات التي فيها الأمر بالإيمان بالرسل كلهم؛ آية البقرة: { قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ } ومثلها في آل عمران: { قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى } إلى آخره. أمر الله تعالى بأن نقول هذه المقالة، الخطاب في { قُولُوا آمَنَّا } لجميع المؤمنين، { قُولُوا آمَنَّا } نقول: نعم، { آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ } . كان النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقرأ بهذه الآية في سنة الفجر في الركعة الأولى من سنة الفجر، وفي الركعة الثانية: { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ } وفي آية البقرة: { قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ } العقيدة، وفي آية آل عمران: { أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا } العمل؛ يعني: التوحيد، والآيات كثيرة في الأمر بالإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب ونحوه. ذكر الله في هذه الآية: { آمَنَ الرَّسُولُ } أربعة أركان، وذكر في آية أخرى من البقرة: { وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ } خمسة أركان من أركان الإيمان، وذم أيضا الكفرة حيث كفروا بها في آية أخرى في سورة النساء.